عقيدة الشيخ عبد الرحمن السملالي من خلال كتابه : تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان

بقلم:
أحمد عارف بن ذوالكفل[1]

الملخص

غالبية المسلمين في العالم يسيرون على منهج الأشاعرة في العقيدة. امتدت هذه العقيدة إلى جميع أنحاء العالم بما في ذلك المغرب، مما يجعلها العقيدة الرسمية للبلاد. لمعرفة تاريخ تطور هذه العقيدة في المغرب، يجب على المرء أن يشير إلى كتابات علماء الأشعرية من الأيام الأولى لهذه العقيدة هناك. كان من بين أوائل العلماء الذين طوروا هذا التأثير الشيخ عبد الرحمن بن سليمان السملالي الذي كان يدرس في مدرسة التزموتية، أحد أقدم المساجد في جنوب المغرب. قام بتطوير هذه العقيدة هناك من خلال إدخال النقلي والعقلي من خلال عمله بعنوان "تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان" وهو شرح لكتاب "العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية" للشيخ أبي عمرو عثمان السلاليجي، وهو المتأثر على كتاب الإرشاد للإمام الجويني، حيث أن العديد من الحجج في الكتاب هي من الإرشاد. لقد قيل أن كتاب "تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان" هو الأقل علمية وغير دقيق ويحتوي على حقائق غير صحيحة. لذلك، تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق المخطوط الأصلي للكتاب، الذي كتب قبل ٥٥٨ عامًا. وبعد الرجوع إلى بعض المخطوطات الأصلية التي يمكن

[1] أحمد عارف بن ذوالكفل، طالب الدكتوراة جامعة قاضي عياض، مراكش، المغرب.

للمؤلف الوصول إليها، وُجد أن هذا الكتاب هو الأفضل من حيث اللغة العربية وترتيب شواهد القرآن الكريم والحديث الشريف وطريقة الاستدلال. وبالإضافة إلى ذلك، تُظهر طريقة كتابة النصوص التي يستخدمها المؤلف أنه خبير في علم المنطق وعلم الكلام الذي يسمح له بتوضيح قضايا العقيدة المعقدة بلغة يفهمها عامة الناس بسهولة.

الكلمات الدليلية: *عقيدة، عبد الرحمن السملالي، تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان.*

المقدمة:

لقد انتشر الإسلام في الغرب الإسلامي منذ القرن الأول من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم على يد القائد عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه. بعد ذلك سطعت شمس الإسلام على بلاد المغرب ونشأت وتطورت الحضارات والثقافات والعلوم والأفكار الإسلامية فيها.

وأما العقيدة في المغرب في ذلك العصر فهي عقيدة مذهب السلف كما أقر بها المؤرخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي رحمه الله في كتابه الاستقصا. ونحن لا ننكر أن هناك مذاهب أخرى مثل مذهب الخوارج والمذهب الشيعي في ذلك العصر.

ولكن تغيرت الأحوال في المغرب منذ عصر دخول دعوة المتكلمين إلى المغرب عبر دعواتهم السياسية كدعوة محمد ابن تومرت وعبر دعواتهم العلمية والمنهجية خلال مؤلفاتهم مثل عثمان السلالجي وغيرهم رحمهم الله.

ونحن الآن سنركز على علم من أعلام المغاربة الذي كان مشهورا بشرحه النفيس المسمى بـ"تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان" وهو عبد الرحمن بن سليمان

السملالي. وبني هذا الكتاب من الأدلة البرهانية أي العقل. وهذا من خصائص العقيدة الأشعرية التي أسست بالأدلة النقلية والأدلة العقلية معا. وزيادة أن هذا الكتاب قد أثّر الدراسة العقدية في جنوب المغرب.

بناء على أهمية هذا الشخص في ترسيم العقد الأشعري بالغرب الإسلامي، حددت المباحث المطلوبات التي ستبحث في هذه الرسالة كما يلي:

١. من هو الشيخ عبد الرحمن السملالي من حيث ترجمته ومرحلة علمه وشرحه؟

٢. ما هي عقيدته في كتابه "تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان" من حيث صفات الله تعالى.

التعريف بالشيخ عبد الرحمن السملالي الكرامي

أ. اسمه ونسبته

هو الشيخ الفقيه العالم النحرير العلامة الفاضل الولي الصالح أبو زيد[٢] عبد الرحمن بن سليمان الكرامي السملالي. هكذا أثبته الحضيكي وداود الكرامي في كتابهما،[٣] ووافقهما كتب التراجم[٤] التي تأتي بعدهما. والكرامي نسبة إلى الأسرة الكرامية التي تنسب إلى جدها الأعلى ابن العربي المعافري، والسملالي نسبة إلى منطقة من مناطق سوس تسمى سملالة.[٥] ويؤكد هذا تأكيدا جازما ذكره في آخر الكتاب المخطوط بقوله: "تم تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان لأبي عمرو السلاجي إمام أهل المغرب في أصول

---

[٢] السوسي، محمد المختار،(١٩٦٣م)، *المعسول*. الدار البيضاء: النجاح، ج٢، ص٢٥ .

[٣] داود الكرامي، ***البشارة***، ١٨. بومزكو، *طبقات الحضيكي*، ج٢، ص٤٣٠.

[٤] السوسي، محمد المختار، (٢٠١٥م)، *وفيات الرسموكي*، بيروت: دار الكتب العلمية، ص١١؛ السوسي، محمد المختار، (٢٠١٥م)، *رجالات العلم العربي في سوس*، بيروت: دار الكتب العلمية، ص١٦.؛ *المعسول*، ص٢٥؛ البعقيلي، محمد بن أحمد، (٢٠١٥م)، *مناقب البعقيلي*، تحقيق: محمد المختار السوسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ص٢٣.

[٥] امحمد أيت بومهاوت، *الإطلالة*، ج٣١، ص٤٥٣-٤٥٤.

الديانات وعلم اللسان من ما عُني بجمعه وتأليفه عبد الرحمن بن سليمان السملالي النسب راجيا من الله تعالى الرحمة والغفران". وهو ليس من العرب وإنما من الأسرة الأمازيغية، أو ما يعرف بـ"البربر" السكان الأصليون للمغرب

ب. تكوينه العلمي ووفاته

المصادر التاريخية لم تتحدث عن سيرة نشأته العلمية منذ نعومة أظافره، وإنما تتحدث عنه بعد كمال نضجه العلمي وانتقاله. فقد انتقل سيدي عبد الرحمن بن سليمان إلى "تاكَا الحنَّاء" بقبيلة "أيت سمَك" إدَاوْزْدّاغْ بجبال الأطلس الكبير حيث قضى حياته في التعليم والإرشاد فخلف هناك أسرة اشتغلت بنشر العلم والتربية الصوفية وامتد اشعاعها على المنطقة دهرا طويلا.[٦] وهو مدرس بمدرسة التزموتية كما درس هناك أخوه سيدي سعيد.[٧]

وبقي الشيخ سيدي عبد الرحمن في تلك القبيلة مشتغلا بالتعليم والتربية إلى أن لبى نداء ربه حوالي ٨٨٠هـ[٨] بساقية الحمراء في جبل درن في أعلى وادي سوس.[٩] ولم يذكر تاريخ وفاته في أي مصادر تاريخية معينة، لكن نعرف من خلال كتاب البشارة أنه توفي قبل أخيه سعيد المتوفى سنة ٨٨٢هـ، فلزم أن يكون وفاته قبل ذلك في أواخر القرن التاسع الهجري. [١٠]

وكان رضي الله عنه من أفاضل الفقهاء، وأماثل الأتقياء والصلحاء.[١١] وكان شرحه على البرهانية من أوائل ما ألف في علم الكلام في تلك المنطقة. وله تأليف آخر في

---

[٦] السوسي، محمد المختار، *الأسر العلمية*،ص٢٧٣.

[٧]هو أبو عثمان سعيد بن سليمان الكرامي السملالي من حفدة أبي بكر ابن المعافري دفين فاس. فقيه مالكي. انظر: الزركلي، (٢٠٠٢م) *الأعلام*، مطبعة دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة ، ج٣، ص٩٥؛ السوسي، *وفيات الرسموكي*، ص١٩.

[٨] امحمد أيت بومهاوت، *الإطلالة*، ص٤٥٨.

[٩] السوسي، محمد المختار، *المعسول*، ج٧، ص٢٥.

[١٠] داود الكرامي، *البشارة*، ص١٨.

[١١] بومزكو، *طبقات الحضيكي*، ج٢، ص٤٣٠.

علم الفقه يسمى "شرح الفقهية القرطبية"، ذكره السوسي بصيغة محتملة لا تفيد القطع. هذا غاية ما استطعنا جمعه وترتيبه من سيرة سيدي عبد الرحمن المسلالي المتفرقة في كتب التراجم.

عقيدته في الإلهيات

أ. دليل ثبوت الصانع وهو الله تعالى

كان السملالي قد استعمل استدلال الجوهر والعرض في إثبات الصانع. ولكن زاد البيان في دليله خصوصا في هذا الباب على وجه التفصيل، حيث قال: «وقوله "والدليل على ثبوت الصانع"، معنى الثبوت هنا الوجود أي على وجود الصانع عقلا ووجوده نفس ذاته جلّ وعلا لأنه أمر زائد على ذاته، هذا مذهب أهل السنة، وذاته غير معلومة للخلق، لا يعلم ذاته إلا هو، كما قال الجنيد: لا يعلم الله إلا الله. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "العجز عن الإدراك إدراك". وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.[١٢] وقال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾.[١٣] وقال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾.[١٤] وقال صلى الله عليه وسلم: «تفكروا في مخلوقات الله ولا تتفكروا في ماهية ذاته»،[١٥] أي في حقيقته. فالتفكر في ذات الله تعالى حرام كالتفكر في الظلم والعصيان، وذلك كله مما نُهي القلب عنه».[١٦]

---

[١٢] الشورى ٤٢: ١١.

[١٣] الأنعام ٦ :٩١.

[١٤] الأنعام ٦: ١٠٣.

[١٥] ذكره اللالكائي في شرحه بلفظ آخر: " تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ"، هبة الله بن الحسن بن منصور، (١٤٢٣هـ) *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، (دار طيبة – السعودية)، الطبعة الثامنة، ج٣، ص٥٧٩.

[١٦] السملالي، عبد الرحمن بن سليمان الكرامي، *تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان*، المكتبة العامة بتطوان، رقم: ٤٤٩، ضمن المجموعة، ٢٥. ورمزتُ لها بحرف (ع).

ومن هذا القول، يدل على أن عقيدة السملالي وجوب الإيمان بوجود ذات الله بدون البحث عن كيفية ذاته جل وعلا. واستدل بصريح المنقول وترك المعقول. ثم صرح باستنباط ثبوت الصانع بدليل سمعي وهو من القرآن الكريم حيث قال: «ولثبوت الصانع أيضا دليل سمعي وهو أدلة القرآن، منها قوله تبارك وتعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.[١٧] ومنها قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾.[١٨] ومنها قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.[١٩] ومنها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾.[٢٠][٢١] يتجلى بين أعيننا أن السملالي جمع بين المنهجين، عقلي وسمعي أو نقلي معا.

ب. صفات الله تعالى

إن السملالي أشعري كما سبق، وسار على منهج عموم الأشاعرة، وهذا واضح عندنا جميعا. وأما طريقه في تقسيم الصفات فإلى ثلاثة أقسام وهي نفسية ومعنوية وفعلية. وذكر أيضا مذهب مثبتي الأحوال وليس منهم. قال بالجملة: «وصفاته تبارك وتعالى على ثلاثة أقسام؛ نفسية ومعنوية وفعلية. وعند مثبت الأحوال أربعة؛ نفسية ومعنوية ومعاني وفعلية. فالفعلية من جملة العالم كما ذكر صاحب المتن أولا حيث قال "العالم عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى وصفات ذاته"، فأفاد بذلك أن صفات الفعل من جملة العالم. والمراد بصفات الفعل المصادرُ المشتق منها أسماء الله تعالى كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والعزة والذلة والنفع والضرر وغير ذلك من سائر المصادر المحدثة. وأما أسماء الله تعالى وصفاته المشتقات منها؛ فما هو في القرآن وغيره من الكتب المنزلة قديم، وما هو في السنة وما هو لفظ البشر من حيث هو لفظ البشر، فحادث لأنه ذِكر، والذكر غير المذكور،

---

[١٧] البقرة ٢: ١١٧.

[١٨] الحجر ١٥: ٨٥.

[١٩] هود ١١: ٧.

[٢٠] الزمر ٣٩: ٦٢.

[٢١] السملالي، *التقييد*، ٢٧ (ع).

فالذكر حادث بالنسبة إلى ذكر الله تعالى، والمذكور وهو الله تعالى قديم، كما أن القراءة بالنسبة إلى القرآن حادثة والمقرئ قديم.

والصفات النفسية خمسة؛ القدم والبقاء والقيام بالنفس ومخالفة الحوادث والوحدانية. والصفات المعنوية ثمانية؛ العالِم والقادر والمريد والحي والسميع والبصير والمتكلم والمدرك. وصفات المعاني ثمانية؛ وهي العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام والإدراك».[٢٢]

١– صفة القدم

التعريف بالقدم عند السملالي رحمه الله هو «عبارة على الدوام من الأزل إلى الأبد، والأزل هو الذي لم يزل، والأبد هو الذي لا يزال، قاله الإمامُ فخر الدين. وقيل القدم نفي الأولية والبقاء نفي الآخرية».[٢٣]

واستدل على قدم الصانع عقلا باستدلال سمعي بقوله: «وأما الدليل على قدمه سمعا فقول تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ .[٢٤] الأول من غير بداية والآخر من غير نهاية. الأول بالأزلية والآخر بالأبدية السابق للأشياء الكائن لم يزل ولا يزال لم يسبقه العدمُ ولا يعقبه الفناء ولا يتبدلُ ولا يتغيرُ ولا يتحيزُ ولا ينتقلُ ولايكيِفه عقلا. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ دليل على قدمه وبقائه تصريحا، والقدم والبقاء صفتان من الصفات النفسية كما تقدم».

وفي هذا الفصل، احتج السملالي بحجة التسلسل أيضا، ويقول: «افتقار الصانع إلى صانع وافتقار صانعه إلى صانع آخر يؤدي أي يُوصل ويُبلِّغُ إلى التسلسل».[٢٥]

---

[٢٢] المصدر نفسه، ٢٨ (ع).

[٢٣] المصدر نفسه، ٢٩ (ع).

[٢٤] الحديد ٥٧: ٣.

[٢٥] المصدر نفسه، ٣٠ (ع).

وذكر أيضا تعريف التسلسل عنده حيث قال: «والتسلسل معناه توقف وجود كل موجود على وجود موجود آخر، وذلك الآخر مستفاد وجوده من آخر إلى غير نهاية». وأما وجه التسلسل عنده فهو: «إن صانع العالم لو كان حادثا لاحتاج إلى محدث أحدثه، ولاحتاج محدثه إلى محدث أحدثه أيضا، ولاحتاج محدث محدثه إلى محدث أحدثه، ويؤدي ذلك إلى ما لا يتناهى، ودخول ما لا يتناهى في الوجود محال. فتقدير حدوث صانع العالم محال لأنه يؤدي إلى محال وهو دخول ما لا يتناهى في الوجود كما ذكرنا».

وكذلك: «الذي يوصل إلى الممتنع ممتنع، وهو تقدير حدوث الصانع يؤدي إلى التسلسل، والتسلسل ممتنع لأن صورة التسلسل حوادث لا أول لها، ووجود حوادث لا أول لها ممتنع عقلا، وتقديره يؤدي إلى نفي العالم مع وجوده، وتقدير نفي الموجود مع وجوده مشاهدةً محالٌ ممتنع لا يدَّعيه عاقل، فهنا ثلاثة محالات؛ نفينا مع وجودنا والتسلسل، وتقدير حدوث صانع العالم، وكلها ممتنعة عقلا». وهذا واضح في استعماله دليل التسلسل وصرح بأنه عقلي. وهو من اختصاص استدلال الأشاعرة في وجوب قدم الصانع.

٢– صفة قيامه تعالى بنفسه

المقصود من القائم بالنفس عند السملالي هو «الموجود المستغني عن الفاعل والزمان والمكان وجميع لواحق الموجودات المحدثات، ومن لواحق المحدثات التحديد بالحدود العشرة وهي الجهات الست؛ فوق، وتحت، وأمام، ووراء، ويمين وشمال، وقبل، وبعد، وكل، وبعض».[٢٦]

والنتيجة من هذه الصفة أنه ينزه الله عن التحديد والاتصاف بصفات المحدثات شمولاً وقال: «فصانع العالم تنزهَ وتقدسَ عن التحديد بها واتصافه بصفات المحدثات شمولا، فخرج من هذا استحالة اتصافه بالجهة، خلافا للكرامية وبعض المعتزلة الذاهبين إلى أنه في

[٢٦] المصدر نفسه، ٣٢ (ع).

جهة. قال الإمام فخر الدين: «وما ذهبوا إليه باطل عقلا وشرعا». فعزا عقيدته إلى الإمام فخر الدين الرازي واتفق معه في عدم اتصافه تعالى بالجهة.

ثم بيّن استدلاله العقلي في تنزيه الله تعالى عن الجهة والحلول والمماسة والتجسيم حيث قال: «أما العقل فإنه لو كان في جهة فوقَ العرش بالحلول والمماسة على زعمهم فلا يخلو إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا، وذلك يؤدي إلى التقدير والتحديد والحجم سوى الجسم والجرم والمقدار والحجم والقدّ والتجسيم وذلك على الله محال».

٣- الإثبات والتفويض والتأويل في الصفات الخبرية

وبعد بين صفة القيام بنفسه في هذا الفصل، أخذ فرصة لبيان عقيدته في الصفات الخبرية، وهو السؤال الكبير في هذا العرض، ما هي عقيدته حول آيات الصفات الخبرية؟ هل يؤولها مثل ما فعل الأشاعرة المتأخرة؟ أو يفوضها مثل ما ادعى عليه الأشاعرة نسبوها إلى المتقدمين؟ أو سار على منهج أهل السنة من السلف الصالح وهو إثبات ما وصفه الله تعالى نفسه بلا تأويل ولا تشبيه ولا تكييف؟

فقال في هذه المسألة: «وما ورد في القرآن والسنة مما ظاهر التشبيه ويوهم الجهةَ كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾.[٢٧] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾.[٢٨] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.[٢٩]وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث النزول: «ينزل ربكم في الثلث الآخر من الليل إلى السماء الدنيا، فيقول هل من تائب فأتوب عليه، وهل من داع فأجيب دعاءه، وهل من مستغفر فأغفر له»،[٣٠]وفي حديث السوداء قيل لها بمحضر النبي

[٢٧] النحل ١٦: ٥٠.

[٢٨] البقرة ٢: ٢٩.

[٢٩] الأعراف ٧: ٥٤.

[٣٠] أخرجه البخاري بلفظ آخر: " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا،..."، حديث رقم ٧٥٣، محمد بن إسماعيل البخاري، (١٩٨٩م)، *الأدب المفرد*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار البشائر الإسلامية – بيروت)، الطبعة الثالثة،ج١، ص٢٦٤.

صلى الله عليه وسلم: «أين الله؟ فقالت، في السماء. فقال لسيدها: أعتقها فإنها مؤمنة».[٣١]

فهذا وما أشبه يجب الإيمان به وأنه كلام الله وكلام الرسول مع اعتقاد نفي التشبيه. هذا مذهب القدماء من أهل السنة كابن عباس وابن مسعود وأبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنه قال: "أي سماء تظلني، وأي أرض تسعني، إن قلت في تفسير كلام الله ما ليس منه." وهو مذهب مالك لأنه قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾:[٣٢] "هنا تمام الوقف"».[٣٣] فهذا اعتقاده المنسوب إلى القدماء من أهل السنة فيمكن أن نفهم من كلامه أنه عرض منهج الإثبات والتفويض هنا، ولا نعرف أيهما يميل وأنسب إلى القدماء في رأيه. غالبا للأشاعرة المقصود من مذهب القدماء هنا التفويض وهذا خلاف رأي أهل السنة والجماعة كما سنتحدث عنه في مطلب النقد الآتي.

ثم أورد السملالي مذهب المتأخرين أي مذهب التأويل وقال: «وذهب المتأخرون من أهل السنة إلى جواز التأويل. منهم أبو المعالي في الإرشاد، فقالوا في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾،[٣٤] أي قصد إلى السماء فسواهن سبع سموات. وفي قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾،[٣٥] معناه ثم استولى على العرش بالقهر والغلبة. وفي قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾،[٣٦] معناه يخافون عقاب ربهم من فوقهم. وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربكم في الثلث الآخر من الليل»، معناه ينزل ملك ربكم الموكل على تلك المقالة. وفي بعض الأحاديث: «يُنزل» بضم الياء، معناه يُنزل غيرَه. وفي حديث السوداء في قولها: «في السمآء»، معناه في السماء عرشه أو سلطانه أو ملكه ومن المتشابهات، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ

---

[٣١] أخرجه الطبراني بلفظ آخر: "عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جَارِيَةٌ لِي كَانَتْ تَرْعَى غُنَيْمَاتٍ لِي قِبَلَ أُحُدٍ...، حديث رقم ٩٣٨، الطبراني، *المعجم الكبير*، ج١٩، ص٣٩٨.

[٣٢] آل عمران ٣: ٧.

[٣٣] السملالي، *التقييد*، ٣٢ (ع).

[٣٤] البقرة ٢: ٢٩.

[٣٥] الأعراف ٧ : ٥٤.

[٣٦] النحل ١٦: ٥٠.

مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾،[٣٧] أي وعلمه متعلق بأحوالكم لا يخفي عليه شيء منها حيث ما كنتم».[٣٨]

والخلاصة من كلامَيْهِ الماضيين لم يذكر واضحا مذهبه، وإنما أشار إلى مذهب القدماء بقوله: "فهذا وما أشبه يجب الإيمان به وأنه كلام الله وكلام الرسول مع اعتقاد نفي التشبيه" إشارة إلى أنه رجح هذا المذهب، وبالتالي هو أسلم عندنا من تصريح التأويل أو التفويض.

٤– مخالفته تعالى للحوادث

يتبع بما تقدم من الصفات الخبرية، فاخترنا هنا لعرض عقيدته في مخالفة الله تعالى للحوادث خاصةً. وجاء بتعريف مخالفته تعالى للحوادث حيث قال: «الواجب هنا مخالفته تعالى للحوادث، ومقابل المخالفة المماثلة وهي مستحيلة، لأنه لو ماثل الجواهر والأعراض لكان عاجزا، ولوكان عاجزا لما خلقها».[٣٩]

فيفهم من قوله السابق أنه استعمل حجة استحالة النقائص لله تعالى. وزاد في الحجة مما يقوله بعده ما نصه: «والذي وصف بالقدم وهو صانع العالم تعالى لا يتصف بصفات الجوهر الحادثة لاستحالة اتصاف القديم بالصفات الحادثة، وحقيقة القديم هو الذي لا افتتاح لوجوده، والحادث ما لوجوده أولٌ، فلا يلتقيان بوجه من الوجوه، بل هما متخالفان».

ويستدل أيضا بأن الجوهر قابل للأعراض فذلك يدل على حدوثه، وهذا يرجع إلى قوله: «إنَّ من صفة نفس الجوهر قبوله الأعراض وكل ما كان قابلا لغيره، فهو مفتقر إلى ذلك الغير، وكل ما كان مفتقر إلى غيره فهو حادث. وأيضا قد تقدم الدليل على

---

[٣٧] الحديد ٥٧: ٤.

[٣٨] السملالي، *التقييد*، ٣٣ (ع).

[٣٩] المصدر نفسه، ٣٨ (ع).

حدوث الأعراض، وإنما لا تخلو عن الجواهر وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث»، ثم قال: «قيام العرض بالجوهر يدل على افتقاره وعلى احتياجه إلى محل أي على احتياج عرض إلى محل يحل فيه، وكل مفتقر حادث. فالعرض حادث كما تقدم في الدليل على حدوث الأعراض. فالصانع العالم المتقدم الدليل على قدمه مخالف للعرض الثابت حدوثه ضرورة».[٤٠] ومن هذه النصوص ظاهر بيننا أنه نفى اتصاف الله تعالى عن أي سمات الحوادث سواء كانت أعضاء أو جهة.

وسوى استدلاله العقلي، قد استدل بالنقلي من قوله تعالى: ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾[٤١] ما نصه: «المتعالي ورد في القرآن في قوله ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾، وكذلك العلي في قوله: ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ ،[٤٢] وكذلك الأعلى في قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾.[٤٣] وهذه الأسماء مشتقة من العلو الذي هو عبارة عن استحقاق وصفات الكمال وغاية المدح والتعظيم. وقيل من العلو الذي هو التنزيه عن صفات المخلوقين، فمعنى "متعال"، على هذا متنزه وغني عن الافتقار، ويدل على تنزيهه، وأنه غني عن الافتقار العقل والسمع. فالعقل أن كل مفتقر حادث، والرب تعالى قديم باق كما تقدم في فصل الدليل على قدم الصانع والسمع، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾[٤٤].[٤٥]

ومن حجة أبي عمرو عثمان السلالجي في مخالفته تعالى للحوادث العرضُ لا يبقى زمنَيْنَ. فشرح السملالي بشرح مهم وواضح في هذه المسألة حيث قال: «وقوله "**زمانين**"، مفهومه أنه يبقى زمانا واحدا وليس الأمر كذلك، بل في كلامه تجوز ومعناه لا يبقى زمان وجوده ولا الزمان الثاني الذي يلي زمان وجوده، بل هو سريع الذهاب والفناء.

---

[٤٠] المصدر نفسه، ٤٠ (ع).

[٤١] الرعد ١٣: ٩.

[٤٢] الحج ٢٢: ٦٢.

[٤٣] الأعلى ٨٧: ١.

[٤٤] فاطر ٣٥: ١٥.

[٤٥] السملالي، *التقييد*، ٤١-٤٢ (ع).

والدليل على أن العرض لا يبقى زمانين أن البقاء صفة قائمة بذات الباقي. فلو كان العرض باقيا لأدى ذلك إلى قيام العرض بالعرض لأن الباقِي حكم، والبقاء معنى. وجب ذلك الحكم وهما عرضان فيؤدي ذلك إلى قيام العرض بالعرض، والجمع بين المشتق والمشتق منه، وقيام الصفة بصفة أخرى، وهذه كلها مستحيلات ولأن ذلك يؤدي إلى خروجه عن حقيقته لأن البقاء معنى، والباقي حكم أوجبه ذلك المعنى. فلما كان العرض سريع الذهاب وطارئا بعد انعدامه، والصانع تعالى قديم باق بالاستدلال العقلي فهما مختلفان وهو المطلوب».[٤٦]

٥- الصفة المعنوية لله تعالى منها العلم والقدرة والإرادة والحياة

وهذه الصفات الأربع الواجبة لله تعالى متفق عليها عند أهل السنة والجماعة وكذلك عند المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية، ومن يخالفها فقد خالف الأدلة الصريحة من النقلية والعقلية معا. ويسمي السملالي هذه الصفات بالمعنوية، وبيّن سبب ترتيب السلالجي. قال: «الأحكام المعنوية وهي المعبر عنها بالصفات المعنوية وقدم العلم على القدرة والإرادة والحياة. وبعض المتأخرين قدم القدرة وثنَّا بالإرادة وثلّث بالعلم وربّع بالحياة. فقال من كان عالما بحدوث العالم كان عالما بوجود صانع العالم وفاعله وقدمه، واستفاد من ذلك أنه قادر لاستحالة وجود الفعل من العاجز عنه، واستفاد منه أنه مريد لاستحالة وقوع الفعل من غير قاصده، والقصد هو الإرادة، واستفاد منه أنه عالم لاستحالة القصد من غير عالم. فالعلم مشروط بالإرادة، والإرادة مشروط بالقدرة، والقدرة مشروط بوجود العالم، ووجود العالم مشروط بقدم صانعه، ووجود القدرة، والإرادة والعلم مشروط بالحياة لاستحالة اتصاف الجمادات بها شاهدا فيطرد غائبا».

ويقصد من كلامه فيما أعلاه الصفات المعنوية لا المعاني ولو استعمل اصطلاح العلم والقدرة والحياة وغير ذلك من المعاني، إذ المعاني سيذكرها في المبحث الخاص بعده.

[٤٦] المصدر نفسه، ٤٢-٤٣ (ع).

والمقصود من العلم هنا هو «علم الله تعالى تعلق بجميع المعلومات الواجب والجائز والمستحيل، وعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن كيف يكون لو كان، وتعلق علمه تعالى بمخلوقاته تفصيلا. ومعنى هذا أنه علم أجزائها وأجزاء أجزائها إلى ما يدق ويقل، ولا يوصف علمه بالاضطرار ولا بالاتكساب ولا يتبدل ولا يتجدد، وهو قديمٌ باق كسائر صفات ذاته تعالى، وعلم المخلوق متعلق بالأشياء على الجملة كعلمنا بالسماء أنها سبع والأرضيين أنها سبع وجهلنا أجزائها. قال بعض علماء الكلام: من قال علم الله بالأشياء على الجملة كفروا».[٤٧] فعقيدته في علم الله تعالى متعلق بكل المخلوقات كليتها وأجزائها تفصيلا بلا استثناء.

وعلم الله تعالى لا يتعدد ولا يتجزأ عنده لو كانت متعلقاته متعددة. قال رحمه الله بتفصيل: «والعلم من حيث هو هو علم انقسم إلى قديم وحادث. القديم علم الله تعالى لا يتجزأ ولاينقسم ولايتعدد، وإنما تتعدد متعلقاته واستحال تناهى معلوماته تعالى كمقدوراته». وحجته على إثبات العلم لله ترجع إلى ثبوت لطائف الصنع وما تتصف به السموات والأرضون وما بينهما من الانتظام والإتقان كما استدل به السلالجي.[٤٨] وأما الدليل السمعي على أنه تعالى عالم فقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[٤٩] وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾[٥٠] وقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[٥١] إلى غير ذلك من أدلة القرآن.

[٤٧] المصدر نفسه، ٤٧ (ع).
[٤٨] المصدر نفسه، ٤٩-٥٣ (ع).
[٤٩] الأحزاب ٣٣ : ٤٠.
[٥٠] الأنعام ٦: ١٠١.
[٥١] الأنعام ٦: ٧٣.

وأخيرا استخلص تعريف علم الله تعالى بقوله: «حقيقة علم الله تعالى هو صفة البارئ تعالى القائمة بذاته المتعلقة بما لانهاية له من المعلومات الموجبة له حكما الإحاطة المتقدسة عن كونها ضرورية أو كسبية».[٥٢]

وأما القدرة فقال: «الدليل على أنه تعالى قادر عقلا وجود أفعاله التي هي العالَم العلوي والسفلي وما فيهما وما بينهما، ومن المستحيل عقلا وجود الفعل من العاجز عنه في الشاهد، فيطرد في الغائب»،[٥٣] وهذا استدلاله العقلي. والدليل على أنه قادر سمعا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾﴾،[٥٤] قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.[٥٥]

كما يمكننا أن نفهم من كلامه في اتصافه تعالى بالعلم أنه استدل وجود العالَم دليلا على أنه تعالى قادر، لأن الصانع قادر في وجود الفعل، والعاجز لا يتمكن وجود الفعل. واستدل أيضا بالدليل السمعي كما ذكرناها.

صفة الإرادة هي القصد. ودليل اتصافه تعالى بالإرادة عقلا تقديم خلق بعض المخلوقات على خلق بعض أو تأخير خلق بعض المخلوقات عن خلق بعض مع جواز العكس، وأن يخلقها كلها دفعة واحدة، دليل على أنه موصوف بالإرادة، والموصوف بالإرادة هو المريد، والمريد من له الإرادة.

وأما دليلها سمعا فمن الكتاب والسنة والإجماع. والكتاب قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.[٥٦] والسنة قوله صلى الله عليه

---

[٥٢] السملالي، *التقييد*، ٥٣ (ع).

[٥٣] المصدر نفسه، ٣٤ (ع).

[٥٤] آل عمران ٣: ٢٩.

[٥٥] الأحزاب ٣٣: ٢٧.

[٥٦] الأنعام ٦: ١٢٥.

وسلم: «خلق الله الخير وخلق له أهلا وخلق الشر وخلق له أهلا».[٥٧] وقال صلى الله عليه وسلم: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».[٥٨] والإجماع منعقد على أن من شعائر الاسلام ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وصفة الحياة ضد الموت. والله سبحانه وتعالى حي لا يموت. والدليل عقلا كما قال السملالي: «الدليل على أنه حي عقلا وجود مصنوعاته وأفعاله، ويستحيل صدور الفعل من الجماد بضرورة العقل في الشاهدِ. وكذلك في الغائب».[٥٩]

وأما الدليل على أنه حي سمعا فقوله: «والدليل السمعي على أنه حي دلائل القرآن، منها قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.[٦٠] وقوله: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٦١] إلى غير ذلك».[٦٢]

٦- الصفة المعنوية لله تعالى منها السمع والبصر والكلام والإدراك

كما ذكرنا فيما مضى أن الصفات المعنوية ثمانية وهي العلم، والقدرة، والإرادة والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، والإدراك، فقد بيّنا أربعة منها والباقي أربعة أخرى.

وفي هذه الأربعة، ذكرها السملالي في قوله: «ولما خلق الله تبارك وتعالى الأصوات ثبت من ذلك أنه سميع، إذ بالسمع تميز الأصوات. وخلقه للذوات يدل على أنه بصير، إذ بالبصر تميز الذوات وتكليفه عباده تعالى بأنواع التكليفات من الأوامر والنواهي، وإخباره إياهم في كتبه المنزلة على رسوله دليل على أنه متكلم، إذ بالكلام يكون الإخبار وخلقه للروائح والحروشة والليوتة والذوق وغير ذلك من المدركات، يدل على أنه مدرك، إذ

---

[٥٧] أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المِسْتَفاض الفِرْيابِي، (١٩٩٧م)، *كتاب القدر*، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، (أضواء السلف – السعودية)، الطبعة الأولى، حديث رقم ١٤٨،ج١، ص١٢٥.

[٥٨] أخرجه أبو داود في مسنده، حديث رقم ٥٠٧٥، ج٤، ص٣١٩.

[٥٩] المصدر نفسه، ٣٤ (ع).

[٦٠] البقرة ٢: ٢٥٥.

[٦١] غافر ٤٠: ٦٥.

[٦٢] السملالي، *التقييد*، ٣٤ (ع).

بالإدراك تدرك المدركات من المشمومات وغيرها، لكن لا يقال فيه شم ولا لامس ولا ذائق، تبارك وتعالى. وبعض المتكلمين جعل الإدراك مندرجا في العلم، فجعل الصفات المعنوية سبعة؛ العالم، والقادر، والمريد، والحي، والسميع والبصير، والمتكلم».[٦٣]

فهذه الأربعة من الصفات المعنوية ذكر السملالي استدلالها عند السلالجي حيث قال: «واستدل أبو عمرو رحمه الله على ثبوتها بوجوب نفي النقائص عن صانع العالم؛ الله تعالى واستحالة اتصافه بها لأن هذه المعاني الأربعة صفات الكمال والجلالة وأضدادها صفات نقص وخساسة وهي الصمم والعمى والخرس وعدم الإدراك. ففي الشاهد من اتصف بهذه النقائص يحتاج إلى من يزيلها عنه. وكل محتاج مفتقر، وكل مفتقر حادث»،[٦٤] ثم قال: «إن النقائص من صفات خصائص المحدثات وصفاتها ويستحيل اتصاف القديم بصفات الحوادث بأول بديهة العقل فيما استحال اتصافه تعالى بالنقائص وجب اتصافه بصفات الكمال التي هي أضداد النقائص وهي؛ السمع والبصر والكلام والإدراك. إذ كل موجود حي يقبل الصفتين المتضادتين على البدل بالجواز العقلي، فيستحيل أن يكون خاليا منهما معا، بل أن استحال اتصافه بأحد الضدين تعين اتصافه بالأخر لاستحالة عدمهما معا. فالحي من حيث هو هو حي يقبل الكمالات الأربع والنقائص الأربع، لكن الحي القيوم تبارك وتعالى استحال اتصافه بالنقائص الأربع عقلا وسمعا، فوجب اتصافه بالكمالات».[٦٥]

فالدليل على أنه تعالى سميع بصير متكلم مدرك عقلا بقاعدة استحالة اتصافه تعالى بالنقائص، لأن الله يجب له متصف بصفة الكمال. فصورتهما في الاستدلال: الحي يجوز في العقل أن يكون سميعا بصيرا. فالسميع هو المدرك للمسموعات وهي الأصوات. والبصير هو المدرك للمبصرات. آفة السمع الصمم، وآفة البصر العمى. فالسمع مع آفته ضدان، والبصر مع آفته ضدان، والصمم والعمى من النقائص، والنقائص مستحيلة على

[٦٣] المصدر نفسه، ٤٦-٤٧ (ع).
[٦٤] المصدر نفسه، ٥٩ (ع).
[٦٥] المصدر نفسه، ٥٩-٦٠ (ع).

الله تعالى، استحال اتصافه بها ووجب اتصافه بالكمالات وهي السمع والبصر. وعنده طريق أخر في إثباتهما وهو سمعي مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.[٦٦]

وأما الكلام لله تعالى عند السملالي هنا فالكلام النفساني. والمقصود من الكلام النفساني بحسبه هو «كلام الله تعالى وهو كلام نفساني أبدي قديم باق وقائم بذاته، وهو كلام واحد لا يتعدد وإنما تتعدد متعلقاته، ومتعلقاته متعلقات علمه تعالى وهي المعلومات الثلاثة؛ الواجب والجائز والمستحيل، لكن تعلق علمه تعالى بها بحكم الإحاطة والكشف، وتعلق كلامه بها على وجه الخبر، وأنواع متعلقات كلامه تعالى أمر ونهي، وخبر واستخبار، ووعد ووعيد، ونداء إلى غير ذلك من أنواع الكلام، والمتكلم من قام بذاته الكلام والمتكلم ما أوجب لمن قام به أنه المتكلم، وكلام الله تعالى لا يقطعه لسان ولا الحلقوم وليس بحرف ولا صوت».[٦٧]

فكلام الله عند السملالي هو ليس بحرف ولا صوت بل نفسي أبدي، لا يشبه كلام المخلوقات، ولا يتصور كيف كان، ويتعلق بالمعلومات الثلاثة وهي الواجب والجائز والمستحيل. وهذا المفهوم غير مفهوم أهل السنة من السلف الصالح. والدليل السمعي للكلام قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾.[٦٨]

والمصحف الذي يطبع ويكتب بين أيدنا اليوم يسمى بالقرآن أيضا ولكن على سبيل المجاز فقط عند السملالي وادعى أنه إجماعا. وهو قال عن هذا الشأن بعبارته: «والإجماع على أن المكتوب في المصاحف يسمى قرآنا ولكن على جهة المجاز من باب تسمية الشيء بما يدل عليه، والقرءان حقيقة هو المقروء وهو المعنى القائم بذات الله تعالى لايوصف بالحلول، لايحل في شيء ولايحل فيه شيء، والعبارات والرقوم الدالة عليه هي المحفوظة في الصدور المتلوة بالألسن وهي حادثة لأنها باعتبار الرسم أجسام وباعتبار التلاوة

[٦٦] النساء ٤: ١٣٤.

[٦٧] السملالي، *التقييد*، ٦٢ (ع).

[٦٨] النساء ٤: ١٦٤.

أعراض، لأن الحرف يحدث عقيب حرف ويذهب سريعاً، والمقروؤ بها قديم لأنه وصف قائم بذات الله تعالى».[٦٩]

وأما الإدراك فهو «ما أوجب لمن قام به كونه مدركا».[٧٠] إذن، الله الذي وصف بالإدراك فهو المدرك لجميع المعلومات بلا استثناء مثل صفة العلم. على هذا، اختلف العلماء في اندارجه في العلم. قال السملالي رحمه الله: «ذهب جمهورهم إلى اندراجه في العلم، ولا يذكرون في الأحكام التي هي الصفات المعنوية إلا سبعة؛ العالم والقادر والمريد والحي والسميع والبصير والمتكلم». والدليل فيه القرآن والإجماع عنده، وما في أدلة العلم له تعالى، حيث قال: «وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿١٧٦﴾﴾.[٧١] وقد تقدم أن مذهب جمهور المتكلمين اندراج الإدراك في العلم. وأما الإجماع فقد أجمع الإسلاميون كلهم قاطبة على استحالة اتصاف الله تعالى بالنقائص. ووجوب اتصافه بالكمالات، والإجماع واجب الإتباع كتابا وسنة، الكتاب قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾، [٧٢] وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تجتمع أمتي على خطأ»،[٧٣] وقال: «عليكم بالسواد الأعظم».[٧٤]

٧- الصفات الأزلية

ومن العادة أن الأشاعرة يعتقدون أن صفات الله كلها أزلية. فالأزلية التي تقصد هنا عند السملالي هو كما قال: «معنى الأزلية القديمة وكما هي أزلية هي أيضا أبدية. فالأزلية عبارة عن نفي عدم سابق، والأبدية عبارة عن نفي عدم لاحق».[٧٥]

---

[٦٩] المصدر نفسه، ٦٢ (ع).

[٧٠] المصدر نفسه، ٦٣ (ع).

[٧١] الأحزاب ٣٣: ٤٠.

[٧٢] النساء ٤: ١١٥.

[٧٣] ذكره القرطبي بلفظ آخر: "لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ"، حديث رقم ١٤٠٤، القرطبي، *جامع بيان العلم وفضله*، ج١، ص٧٥٩.

[٧٤] أخرجه أبو بشر محمد بن أحمد في كتابه. انظر: أبو بشر محمد بن أحمد، (٢٠٠٠م)، *الكنى والأسماء*، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، (دار ابن حزم – بيروت)، الطبعة الأولى، ج٢، ص٥١٥.

[٧٥] المصدر نفسه، ٦٦ (ع).

وفي إثبات أزلية صفات الله مختلف عند المتكلمين طريقه. قال السملالي: «اختلف المتكلمون في الطرف الموصولة إلى ثبوت هذه الصفات الأزلية، فقيل الطريق إلى ثبوتها أدلة السمع وهي أدلة القرآن وهي قطعية ضرورية، لأن القرآن منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيده الله بالمعجزات الدالة على الصدق صلى الله عليه وسلم ودلالتها على صدقه ضمنية ضرورية عقلية».

ثم قال: «ومنهم من استدل على ثبوتها بوجود العالم وإتقانه واختصاصه بأوقات وجوده وتباين صفاته كما تقدم في الثبوت الصفات المعنوية مستوفا».

ثم قال أيضا: «ومنهم من استدل بثبوتها البارئ تعالى بنفي النقائص عنه تعالى التي هي الجهل والعجز وعدم الإرادة والغفلة والصمم والعمى والبكم وعدم الإدراك، فلما استحال اتصافه تعالى بهذه النقائص وجب اتصافه بأوصاف الكمال وهي الصفات الأزلية المترجم لثبوتها في هذه الفصل التي هي أضداد النقائص المتقدم ذكرها لاستحالة عدم الضدين وعرو الشيء عن جميع الأضداد التي يقبلها عقلا».

وأخيرا ذكر الاستدلال الذي اختاره السلاجي وقال: «ومنهم من سلك في إثباتها طريق القياس الشاهد على الغائب وهي طريقة أبي عمرو في البرهانية، وتبع في ذلك طريقة أبي المعالي في الإرشاد مع أنه ضعفها في البرهان، وكذلك ضعفها جمهور المتكلمين. ووجه ضعفها عندهم أن المطلوب في ثبوت هذه المعاني هو اليقين والقياس إنما يفيد الظن فعلى مذهب أبي المعالى في الإرشاد وأبي عمرو يجوز قياس الغائب على الشاهد لجوامع الأربعة وهي العلة والحقيقة والشرط والدليل».

فالسملالي يميل إلى الاحتجاج بقياس الغائب على الشاهد، فمهما ثبت حكم معلل بعلة وجب طردها شاهدا أو غائبا. فنتيجته: «مذهب أهل السنة أن الله تبارك وتعالى عالم بعلم وقادر بقدرة. كذلك إلى آخر الأحكام كل حكم بمعنى أوجبه وخالف في

ذلك أهل الاعتزال فقالوا عالم بلا علم وقادر بلا قدرة كذلك إلى آخرها، -تعالى الله عن قولهم- بطل مذهبهم بقياس الغائب على الشاهد ضرورة».[٧٦]

الخاتمة

بعدما انتهينا في البحث عن عقيدة الشيخ عبد الرحمن السملالي فنخلص نتائج البحث التي توصلنا إليها كما يلي:

١. اسمه الكامل هو عبد الرحمن بن سليمان الكرامي السملالي. وهو أصلي في القرن الثامن من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم .ولم يذكر تاريخ وفاته في أي مصادر تاريخية معينة، لكن نعرف من خلال كتاب البشارة أنه توفي قبل أخيه سعيد المتوفى سنة ٨٨٢هـ.
٢. وهو قد ألف شرحا لـ"العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية" المسمى بـ"تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان" مساعدة للطلبة على فهم مسائل علم العقيدة ومصطلحاته الصعبة، تسهيلا لاستيعابهم لها.
٣. قد شرح هذا الكتاب بالدلائل البرهانية أي العقلية غالبا إلا في بعض المواضع. الصفات النفسية عنده هي القدم وقيامه بنفسه والمخالفة للحوادث والوحدانية .وقد أخذ السملالي منهج الخلف في تأويل الآيات المتشابهات.
٤. وأما صفات المعاني والمعنوية عنده فهي ثمان صفات :كونه تعالى عالما وكونه تعالى قادرا وكونه تعالى مريدا وكونه تعالى حيا وكونه تعالى سميعا وكونه تعالى بصيرا وكونه تعالى متكلما وكونه تعالى مدركا.

[٧٦] المصدر نفسه، ٦٧ (ع).

المصادر والمراجع

المطبوعات

السلالجي، أبو عمرو عثمان، (٢٠٠٨م)، *العقيدة البرهانية الأشعرية لأبي عمرو السلالجي*، تقديم وتحقيق جمال علال البختي، تطوان: الخليج العربي.

السوسي، امحمد أيت بومهاوت الوسيخيني السملالي، (٢٠١٥م)، *إطلالة تمنح الأجيال تاريخ قبيلة إِدَاوْسْمَلاَلْ*، الدار البيضاء: النجاح الجديدة.

السوسي، محمد المختار، (١٩٦٣م)، *المعسول*. الدار البيضاء: النجاح الجديدة.

السوسي، محمد المختار، (٢٠١٥م)، *مدارس سوس العتيقة نظامها – أساتذتها*، بيروت: دار الكتب العلمية.

السوسي، محمد المختار، *خلال جزولة*، تطوان: د. ط.، د. ت..

السوسي، محمد المختار، (٢٠١٥م)، *رجالات العلم العربي في سوس*، بيروت: دار الكتب العلمية.

السوسي، محمد المختار، (١٩٦٠م)، *سوس العالمة*، المحمدية: مطبعة فضالة.

السوسي، محمد المختار، (٢٠١٥م)، *وفيات الرسموكي*، بيروت: دار الكتب العلمية.

الشافعي، حسن، (٢٠١٣م)، *الآمدي وآراءه الكلامية*، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

البعقيلي، محمد بن أحمد، (٢٠١٥م) ، *مناقب البعقيلي*، تحقيق: محمد المختار السوسي، بيروت: دار الكتب العلمية.

بومزكو، أحمد، (٢٠٠٦م)، *طبقات الحضيكي*، الدار البيضاء: النجاح الجديدة.

الكرامي، داود بن علي بن محمد ، *بشارة الزائرين الباحثين في الصالحين*، نسخة مصورة.

هارون، عبد السلام، (١٩٦٥م)، *تحقيق النصوص ونشرها*، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٤٤.

خالد زهري وعبد المجيد بوكاري، (٢٠١١م)، *فهرس الكتب المخطوطة في العقيدة الأشعرية*، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر.

البختي، جمال علال، (٢٠٠٥م)، *عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية دراسة لجانب من الفكر الكلامي بالمغرب من خلال البرهانية وشروحها*، مطبعة دار أبي رقراق للطباعة والنشر بالرباط، الطبعة الأولى.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (٢٠٠٨م)، *الاقتصاد في الاعتقاد*. تحقيق: أنس محمد عدنان الشرفاوي. جدة: دار المنهاج للنشر والتوزيع.

التنبكتي، أحمد بابا، (١٩٨٩م)، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، إشراف: عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية.

اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور، *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*، (١٤٢٣هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، (دار طيبة – السعودية)، الطبعة الثامنة.

محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، (١٤٢٠هـ)، *التفسير الكبير*، (دار إحياء التراث العربي – بيروت)، الطبعة الثالثة.

البخاري،، محمد بن إسماعيل البخاري، (١٩٨٩م)، *الأدب المفرد*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار البشائر الإسلامية – بيروت)، الطبعة الثالثة.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، (١٩٩٤م)، *المعجم الكبير*، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (مكتبة ابن تيمية – القاهرة)،.

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله، (١٩٩٤م)، *جامع بيان العلم وفضله*، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، (دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى.

أحمد بن حنبل،(١٩٩٩م)، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، (مؤسسة الرسالة)، الطبعة الثانية .

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (١٩٩١م)، *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مكتبة عيسى البابي الحلبي.

محمد بن عيسى الترمذي، (١٩٧٥م)، *سنن الترمذي*، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ،ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر)، الطبعة الثانية.

المخطوطات

السملالي، عبد الرحمن بن سليمان الكرامي، تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان، الخزانة الحسنية بالرباط، رقم: ٩٤٦٥، مخطوط.

السملالي، عبد الرحمن بن سليمان الكرامي، تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان، المكتبة العامة بتطوان، رقم: ٤٤٩، مخطوط.